الوسطية والاعتدال

معالي الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

مكتبة دار بن عباس

، منيه سمنود - دقهلية

هاتف : ٠٥٠٦٤٩٣٢٥ ٠٥ فاكس : ٠٢٩١٦٣٢٤ ٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

رقم الإيداع : ١١١٦٨ / ٢٠٠٧

مكتبة ابن عباس

منيه سمنود - جمهورية مصر العربية

شارع الثورة بجوار سنترال الدولية

هاتف : ٠٥٠٦٤٩٣٢٥ فاكس : ٠٤٠٢٩١٦٣٢٤

محمول : ٠١٠١٦٩٧٦٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

أشكرُ اللهَ على آلائه العظيمة، ومِنَحِه المتتابعة.

وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك لـه، وأشهدُ أن محمداً عبدُ الله ورسولُه.

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا

أما بعد :

فموضـوعنا في هـذه المحاضـرة: **(الوسطيةُ والاعتدالُ وأثـرُهما عـلى حـياةِ المسـلمين)** هـذا الموضـوع موضوع شـرعي؛ لأن الله - جـل وعـلا- وصف هذه الأمةَ بأنها أمـةٌ وسـطٌ، قـال - سـبحانه - : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ [1] ولأن لفـظَ الوسـط، وكون هذه الأمة وسطًا جـاء في كتب العقائد، فما من كتاب من كتب أهل السنة

(١) (البقرة : ١٤٣) .

والجماعة وكتب الحديث والأثر إلا نصٌ فيه على أن هذه الأمة وسط، وعلى أن أتباع المنهج الصحيح وسط أيضًا بين الغالي والجافي.

* * *

سمات المنهج الوسط

الوسطيةُ والاعتدالُ لها سماتٌ، وهذه السمات ذكرتْها النصوصُ، ووُجدت في سلوك الصحابة، وفي سلوك أئمة الإسلام .

أما سماتُها : فالوسطيةُ والاعتدالُ هي سمة الشريعة بنصٍّ القرآن، فهذه الشريعة متسمة بأنها شريعةُ السماحة ورفعِ الحرج .

قال الله – جل وعلا – : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [1]، وقال أيضًا : ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ [2] .

وإليك سمات الوسطية:

(١) أنها شريعة العدل في الأحكام والتصرفات،

---

(١) (الحج : ٧٨).

(٢) (المائدة : ٦) .

ولذلك كانت وسطًا، فالعدلُ في الأحكام والتصرفات يوجب الوسطيةَ؛ لأن غير ذي الوسط لابدَّ أن يكون في سلوكه إما إلى تفريط وإما إلى إفراط [١] .

(٢) أن هذا المنهج موافقٌ للشرع، ثم هو موافق للعقل السليم، فالشرعُ الصحيح بنصوصه وقواعده واجتهادات العلماء فيه يدعو إلى الوسطية والاعتدال، وينهى عن الغلوِّ والمبالغة، وكذلك مقتضيات العقل السليم، فإن حياةَ الناس لا تستقيمُ إلا بهذه الوسطية، فإنَّ الانحراف عن الجادة بغلوٍّ أو جفاء لا يكون معه العيشُ مستمرًّا على وقت مصالح الناس، فمصالحُ الناس تقتضي عقلاً أن يكون هناك منهج متوسِّطٌ يجتمعون عليه، ويدافعون عنه.

(٣) أن الوسطية والاعتدال يبرأان من الهوى،

---

(١) الإفراط: يستعمل في تجاوز الحدّ من جانب الزيادة والكمال.
والتفريط: يستعمل في تجاوز الحدّ من جانب النقصان والتقصير.

ويعتمدان على العلم الراسخ، والعلمُ إما أنْ يكون نصًا من كتاب أو سنة، أو أنْ يكون قولاً لصحابيٍّ فيما لم يَرِدْ فيه نصٌّ، أو يكون من اجتهادات أهل العلم الراسخين في ذلك. فاعتمادُ الوسطية على العلم الراسخ الصحيح مظهرٌ من مظاهرها، وسِمةٌ من سماتها.

(٤) أن الوسطيةَ تراعي القدرات والإمكانات فليس صاحب الوسطية معجزًا للناس في طلباته، أو داعيًا إلى خيالات في آرائه وتنظيراته.

كثير من الناس لهم تنظيرات وخيالات، وهؤلاء يبتعدون عن الوسطية المرادة ؛ لأن الوسطيةَ والاعتدالَ تؤثّران في حياة الناس تأثيرًا واقعياً ملموسًا، وهذا يعني أن تُراعَى في ذلك القدرات والإمكانات سواء أكانت قدراتِ الأفراد، أم قدرات المجتمع، أم قدراتِ الدولة الخاصة بالبلد، أم القدرات المتعلقة بالأوضاع العالمية.

(٥) أن فيها مراعاةً للزمن والناس، فالزمنُ يتغيَّر، والناسُ أيضًا يحتاجون إلى تجدّد باعتبار الزمن وباعتبار

التغير، فمحافظتهم على المنهج الوسط يقتضي أن يكون هناك مراعاةٌ لاختلاف الأزمنة والأمكنة والناس؛ ولهذا نصَّ أهلُ العلم على أن الفتوى تختلف باختلاف الزمان والمكان، والوقائع والأحوال والناس [١].

* * *

(١) انظر «الموافقات» (١: ٣٣٢).

«الوسطية» صفة هذه الأمة

لماذا نذهب إلى الوسطية؟ هل هو لعلاج مشكلة قامت أم هو لأجل إيجاد حلول لمشكلات أم لغير ذلك؟

الجواب: نختار الوسطيةَ والاعتدالَ لأن الله – جل وعلا – أمَرَ بها، وأمر بها رسولُه ﷺ . إذن هي مأمور بها، ويجب على الناس أن يمتثلوا المأمورَ، وأن يجتنبوا ما لم يؤمروا به في المناهج والأفكار .

ولأن الوسطيةَ حقٌّ، ولأن غيرَها باطلٌ .

ولأن الوسطيةَ بريئةٌ من الأهواء، فغالبًا يكون طرفا الجِهَتَيْنِ إما الغلوُّ وإما الجفاءُ، وإما التفريط وإما الإفراط، ثم يحرِّكه الهوى، أما الوسط والاعتدال المبني على العدل والحق فإنه يبرأ من الهوى، والهوى مأمورٌ أنْ نبرأ منه، وأن نسعى في تجنب أثره على النفس في الفكر والحكم والتحاكم، قال الله – جل وعلا – : ﴿ أَفَرَءَيْتَ

مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ (١) .

وكـونُ الوسطيةِ والاعتدال موصلةً إلى تحقيق مقاصد الشريعة في الدين والدنيا.

ومعلـوم أنـنا نحـتاج لتحقـيق الشـريعة أن نـرعَى الشريعة، وأن نحقق مقاصدَها في الناس.

فالشـريعةُ جـاءتْ لـتحكمَ في الـناس، ولتكون حياةُ الناس في ضوئها، ولم تأتِ الشريعةُ لتكون نظرياتٍ يُباهى بهـا، أو تكـونَ خيالات الناس يفتخـرون بها من دون أن تكـون تطبـيقًا في الواقـع بأحكامهـا ومُـثُلِها وعقائدهـا، لذلـك فالوسـطيةُ والاعـتدالُ - عـلى نحـوِ مـا ذكرنا - موصـلةٌ إلى تحقـيق مقاصـد الشـريعة في الدين وفي الدنيا أيضًا .

وأخيرًا فإنَّ اللهَ – عز وجل – جعلنا أمةً وسطاً؛ لأن الوسـطية أبعدُ عن الفتن ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ، فالفتنُ في

(١) (الجاثية : ٢٣).

تـاريخ الإسـلام منذ أن نبع وظهر المعـترض على رسول الله ﷺ بقوله : اعدلْ يا محمدُ، وردَّ عليه النبيُّ ﷺ بقوله : « ويحـك ومَنْ يعدل إذا لم أعدلْ » [١]، هذه الوسطيةُ منذ ذلـك الحين مرورًا بخروج الخوارج، والفِرَقِ الضالة إلى أن وصـلنا إلى هذا الوقت بما فيه، إلى أنْ حصلت التفجيراتُ الأخـيرة، ومـا فـيها مـن أفكار، وما فيها من غلوٍّ وتكفير وجفـاء ؛ لهـذا كلّه اختار الله – عز وجل – لنا الوسطيةَ؛ لأنها مبعدةٌ عن الفتن ما ظهر منها وما بطن.

* * *

(١) أخـرجه «البـخاري» في «صحيحه» في (كتاب المناقب – باب علامات النبوة في الإسـلام) ٣٦١٠، وأخـرج قريباً منه كلٌّ من «مسلم» في «صحيحه» في (كتاب الزكاة – باب ذكر الخوارج وصفاتهم) ١٠٦٤، و«أبو داود» في (كتاب السنة – بـاب في قـتال الخوارج) ٤٧٦٤، و«ابن أبي عاصم» في «كتاب السنة» في (باب المارقـة والحرورية والخوارج) (٢: ٤٥٥)، و«الحاكم» في «المستدرك» في (كتاب قتال أهل البغي – باب صفات الخوارج وحكم قتلهم) (٢: ٢٦٩٤، ٢٧٠٦).

أسباب الثبات على الوسطية

أولاً: معرفةُ المنهج الصحيح من الكتاب والسنة، وكلام أهل العلم الراسخين فيه ؛ لأن المنهج الصحيح يحتاج إلى معرفة نصوصه وأدلته، وكلام أهل العلم فيه، ولم يؤتَ الناس إلا من بُعْدِهِم عن الثبات عن المنهج الحق والاعتدال والوسطية، وذلك سبب قصورهم في العلم، وغلبة الجهل، لذلك كلما كنا حريصين على نشر العلم الصحيح النافع من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وَفَهْمِ السلف للنصوص، واجتهاداتهم فيما فهموا من النصوص كان ذلك مدعاةً للثبات على الاعتدال والوسطية، فالجهلُ، وتَرْكُ العلم، والذهاب إلى عقليات وأفكار ربما لا تكون موافقةً للعلم الصحيح، كل ذلك يبعد عن المنهج الوسطي .

الثاني: قوةُ العلم والتبحر فيه، فإن العلمَ يزداد بالاعتدال، ويضمحل بالغلوِّ أو الجفاء .

الثالث: قـوةُ العقل، فاللهُ - جل وعلا - خاطَبَ في كـتابه العزيـز أولـي الألـباب، وخاطـبَ الذيـن يعقلون، وخاطـبَ الذيـن يفهمـون، وخاطـبَ مَنْ يتذكَّر من أهل اللـبِّ الصـحيح السـليم، ومـن أهـل العقـل الصـريح القـوي، وفي هذا إشارةٌ إلى أهمية العقلِ والإدراك في فَهْمِ النصوص، وَفَهْمِ المصالح .

الـرابع: النظرُ في تجاربِ الناس والتاريخ، وما حصل فـيه من محنٍ وفتنٍ، وما حصلَ من إصلاح، فإن هذا ينتج عنه الاهتمام بلزوم الوسطية والاعتدال ؛ لأن التاريخَ فيه تجـاربُ كثيرةٌ داميةٌ، وفيه تجاربُ كثيرة قاتلةٌ، وفيه تجاربُ كثيرة صالحة ومُصْلِحَةٌ، مَنْ نَظَرَ فيها بعين الإنصاف وَجَدَ بقوةِ عقله وإدراكه أن من نجح كان معتمدًا على الوسطية في قوله وعلمه وعقله وإدراكه .

الخامس: الصبرُ؛ لأنه سِمَةُ أهل العلم، بل هو سِمَـةُ الأنبـياء والمرسلين، قال الله -جل وعلا - : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا

﴿صَبَرَ أُوْلُوا ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [(١)]، وقال - جل وعلا - : ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [(٢)]، فمَنْ استُخِفَّ فليس بذي عقل، ومَنْ لم يكن جازمًا بوعد الله حقًا، صابرًا فهو مُسْتَخَفٌّ أيضاً، وليس بذي إدراكٍ سليم.

فالصبرُ وعدمُ الاستعجال في الأمر كلّه من سمات الثبات على الوسطية والاعتدال، وذلك من أسبابِ النجاحِ في المآرب والمقاصد.

* * *

---

(١) (الأحقاف : ٣٥).

(٢) (الروم : ٦٠) .

أسباب الانحراف عن الوسطية والاعتدال

أما أسباب الانحراف عن الوسطية والاعتدال فيمكن تلخيصها بما يلي:

١- الجهل .

٢- الهوى .

٣- غلبة العاطفة على العقل .

٤- استعجال النتائج فيما هو مشروع، وطرح نتائج مرفوضة فيما ليس بمشروع .

٥- الابتداع في الدين .

٦- اتهام العلماء والعقلاء بالمداهنة وترك الحق .

* * *

الوسطية في الإسلام عقيدة وشريعة

تطبيق مفهوم الوسطية والاعتدال في حياة المسلمين مهم جدًا، ولابدَّ من فهمهما فهماً سليماً؛ لأننا نسمع من يقول: منهج الوسطية، ولفظُ «الوسطية» كثيرًا ما يستعملُ من دون ضوابط شرعية أو عقلية، ومعلوم أن مرجع الوسط دائمًا بين طرفين .

فمَنْ يحدد الطرفين ؟ مَنْ يصف المنهج الوسط ؟ مَنْ يقول: إن هذا وسطٌ، وإن خلافه ليس بوسط ؟

الجواب: لابدَّ من قواعد تُحكم ذلك حتى لا يجرنا هذا المنهج إلى نبذ مُسَلَّمات من الدين أو العقيدة الصحيحة، طلبًا لوسطية متوهمة، فالوسطية والاعتدال مطلوبان شرعًا وَفْقَ ضوابطها الشرعية التي يُقِرُّها أهلُ العلم الراسخون فيه .

الإسلامُ عقيدةٌ وشريعةٌ، فعقيدته مبنيةٌ على الوسطية، كما نصَّ أهل العقائد.

وشـريعتُه مبنـية على الوسطية أيضًا والاعتدال، كما نـصَّ أهل الفِقه والقواعد والمقاصد والأصول، قال الله – جل وعلا – : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [(١)]، معنى قوله: ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ –كما فسَّرها الصحابة ومَنْ تبعهم– جعلـناكم أمـةً عـدلاً خـيارًا بمـا تتوسطون فيه بين الغالي والجـافي، فهـناك غلـوٌّ وجفاء في الملل والنحل، هناك غلوٌّ وجفـاء في الفِرَقِ المختلفة في هذه الأمة، هناك غلوٌّ وجفاء في أنـواع الشـرائع الـتي سـبقتنا في الجماعات والتحزبات المختلفة.

ومما يدل أيضًا على هذا المبدأ قولُ الله – جـل وعلا – : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [(٢)]، وقال – جل وعلا–: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [(٣)].

---

(١) (البقرة : ١٤٣) .

(٢) (الإسراء : ٢٩) .

(٣) (الفرقان : ٦٧) .

فثبت عنه – عليه الصلاة والسلام – أنه قال: **«إياكم والغلوَّ فإنما أهلَكَ مَنْ كان قَبلكُمْ الغلوُّ في الدين»**[١]، وجاء عن «علي بن أبي طالب» الخليفة الراشد – رضي الله عنه وأرضاه – أنه قال: **«خير الناس النَّمَطُ الأوسطُ الذين يرجع إليهم الغالي ويلحق بهم الجافي»** [٢] رواه ابن المبارك عن محمد بن طلحة عن علي، رضي الله عنه، وقال بعض السلف: **«دينُ الله بين الغالي فيه والجافي عنه»** [٣]، وهذه قاعدة عند أئمة السلف وعند من صنف في العقائد، يقولون: دينُ الله الحقُّ، دين الله المرضي عنه، دين الله الذي يُؤْمَرُ الناس باتباعه وسطٌ بين الغالي فيه والجافي عنه .

---

(١) أخرجه الإمام «أحمد» في «مسنده» (٣: ١٨٥١) و(٥: ٣٢٤٨) و«النسائي» في «سننه» في (كتاب المناسك – باب التقاط الحصى) ٣٠٥٩، و«ابن ماجَهْ» في «سننه» في (كتاب المناسك – بابُ قدر حصى الرمي) ٣٠٢٩، كلهم من حديث «ابن عباس» رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه «ابن أبي شيبة» في «المصنف» (٧ : ١٠٠) برقم (٣٤٤٩٨) وقد أورده «المناوي» في «فيض القدير» (٣: ١٣٤) من دون عزو عند كلامه على الغلوّ في الدين.

(٣) قريب منه في «سنن الدارمي» (باب في كراهية أخذ الرأي) (١: ٧٢) من كلام الحسن.

وفي الحديث الذي في الصحيح قال ﷺ: «**إنَّ الدينَ يُسْرٌ ولن يُشَادَّ الدينَ أحدٌ إلا غَلَبَه**»[١]، والنبي ﷺ **ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسَرَهُمَا ما لم يكنْ إثمًا**[٢].

وفي الحديث الذي في السنن وفي غيرها، وهو مرسل وله شواهد من حديث محمد بن المنكدر عن جابر قال: «**إنَّ هذا الدينَ متينٌ فأوغلْ فيه برِفْقٍ فإنَّ المُنْبَتَّ لا أرضًا قَطَعَ ولا ظَهْرًا أبقى**»[٣].

وصح عنه – عليه الصلاة والسلام – أنه قال:

---

(١) أخرجه «البخاري» في «صحيحه» في (كتاب الإيمان – باب الدين يُسْرٌ) ٣٩ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) أخرجه «البخاري» في «صحيحه» في (كتاب المناقب – باب صفة النبي ﷺ) ٣٥٦٠، و«مسلم» في «صحيحه» في (كتاب الفضائل – باب مباعدته ﷺ للآثام، واختياره من المباح أسهله..) ٢٣٢٧، من حديث «عائشة» رضي الله عنها.

(٣) أخرجه هكذا «ابن المبارك» في «الزهد» ١٣٣٤، موقوفاً على «عبدالله بن عمرو» – رضي الله عنهما –، و«البيهقي» في «سننه» في (كتاب الصلاة – باب القصد في العبادة والجهد في المداومة) (٣: ١٨)، و«الحاكم» في «معرفة علوم الحديث» ٩٦ و«الهيثمي» في «مجمع الزوائد» (١: ٦٢) من حديث جابر – رضي الله عنه –، وتكلم عليه «ابن حجر» في «فتح الباري» (١١: ٢٩٧). وأخرج صدره «أحمد» في «مسنده» (٢٠: ١٣٠٥٢) من حديث «أنس» – رضي الله عنه –.

«أحبُّ الدين إلى الله الحنيفيةُ السمحةُ» [١]، وقال أيضًا: **«ألا هلك المتنطعون ثلاث مرارٍ»** [٢].

ولما أرسل صاحبيه معاذًا، وأبا موسى الأشعري إلى اليمن قال لهما: **«يَسِّرا ولا تُعَسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا، وتطاوعا»** [٣].

---

(١) أورده «البخاري» في «صحيحه» في (كتاب الإيمان – ٢٩ بابُ الدينُ يُسْرٌ) من قول النبي ﷺ تعليقاً. وأخرجه في «الأدب المفرد» ٢٨٨، و«أحمد» في «مسنده» (٤: ٢١٠٧) من حديث «ابن عباس» رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه «أحمد» في «مسنده» (٦: ٣٦٥٥) و«مسلم» في (كتاب العلم – بابٌ هلك المتنطعون) ٢٦٧٠، و«أبو داود» في «سننه» في (كتاب السنة – باب في لزوم السنة) ٤٦٠٨، كلهم من حديث «عبدالله بن مسعود» رضي الله عنه. «المتنطِّع: المتعمق».

(٣) أخرجه «البخاري» في «صحيحه» في (كتاب المغازي – بابُ بَعْثِ أبي موسى ومعاذٍ إلى اليمن قبلَ حَجَّةِ الوَدَاع) ٤٣٤١، ٤٣٤٤، وفي (كتاب الأدب – باب قول النبي ﷺ : يسِّروا ولا تُعَسِّروا) ٦١٢٤، و(كتاب الأحكام – بابُ أمر الوالي إذا وَجَّهَ أميرين إلى موضع أن يتطاوعا ولا يتعاصيا) ٧١٧٢، و«مسلم» في «صحيحه» في (كتاب الجهاد والسير – باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها) ١٧٣٣ بزيادة «ولا تختلفا»، كلهم من حديث «أبي بردة» رضي الله عنه. و«الطيالسي» في «مسنده» ٤٩٨، من حديث «أبي موسى الأشعري» رضي الله عنه.

وهـذه هي قاعدة الدعوة، كما أجمع على ذلك أهل العـلم، وأيضًـا جـاء عـنه – علـيه الصلاة والسلام – أنه قال: « **أحَبُّ الأمورِ إلى الله أواسطُها** »[1] .

إذا تـبين ذلـك وأن هـذه الوسـطيةَ وهـذا الاعـتدالَ مطلـوبٌ وأن دلائـل الشـرع تَـدُلُّ عليه، وأنه منحةٌ لهذه الأمـة ؛ لكـي تـبقى وتسـتمر، وأنـه لا بقاء للغلاة، ولا لـلجفاة، وإنمـا الـذي يـبقى الناصـح لهـذه الأمـة، ويبقى المخلـص والعـالم والمعلّـمُ لهـا، والـذي يؤثّر فيهم هو مَنْ يكـون عـلى هـذا المـنهج القويـم الـذي دلّ عليه النصُّ، وسـلوك الخلفـاء، وأقوالهـم، وأعمـالُ أئمـة الإسـلام، ومصنفاتهم.

---

(١) ذكر « العجلوني » في « كشف الخفاء » (١ : ٣٩١) : «خير الأمور أوسطها» وفي لفظ « أواسطها » .

وسطية الإسلام بين الأديان والشرائع

الوسطية لها أنحاء من حيث التطبيقُ، إما من جهة الوصف السابق، أو من جهة التنظير الواقع .

فالإسلامُ وسطٌ بين الديانات، فمَنْ تأمل عقيدةَ الإسلامِ وجدها الوسطَ بين الديانات المختلفة، والدياناتُ هي كل دين دانَ الناس به والتزموه سواء أكان دينًا أصله حق أم كان دينًا باطلاً من أصله، فالإسلامُ وسط بين اليهودية والنصرانية [1]، والإسلام وسط بين المجوسية والبوذية، والإسلام وسط بين أهل القوانين بين الرومان وبين الذين يجعلون الحكم لأنفسهم.

الإسلامُ وسط في الأخلاق ووسط في المعاملات،

(١) اليهود أهل تقصير في الدين، بدّلوا كتابَ اللهِ، وقتلوا أنبياءَهم، وكَذّبوا على ربِّهم، وكفروا به، والنصارى أهل غلوٍّ فيه، غَلَوْا بالترهُّب، وقيلهم في عيسى – عليه السلام – ما قالوا.

والمسلمون أهل توسّطٍ واعتدالٍ فيه، فوصفَهم اللهُ بالوسط، إذ أحبُّ الأمور إلى الله أوساطُها. ا.هـ من «تفسير الطبري» (٢: ٦٢٦-٦٢٧).

الإسلامُ دعا إلى الأخلاق الحميدة، وحضَّ عليها، بل وَصَفَ الله - جل وعلا - نبيَّه ﷺ بذلك في قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [1]، لكنه لم يجعل من الخُلُقِ المحمود تركَ العزة، ولم يجعل من الخُلُق المحمود تركَ الحق، بل جعل الخُلُقَ المحمودَ وسطًا بين اللين والقوة، فالقوةُ في مكانها مطلوبةٌ، واللين مع المسلمين وغير المسلمين في مكانه مطلوبٌ، فالحق بين ذاك وذاك، والإسلامُ وسطٌ أيضًا في الديانات، في أنواع المعاملات، وأنواع التشريعات التي فيها تعامل الناس ما بين مَنْ يُحِلُّ الربا بأنواعه، وما فيه ظلم للناس، وما بين مَنْ يمنع كل أنواع التعامل، ويحرم المال الذي يكتسبه الإنسان إلا من عمل يده، فالإسلامُ يدعو إلى التجارة، ويدعو إلى العمل، ويدعو إلى الاقتصاد، ويدعو إلى تنمية المال، ولكنه يمنع في ذلك كله الظلمَ، ويَمنع أَخْذَ أموال الناس بغير حق، ويمنع أن يكون

---

(١) (القلم : ٤).

المال دُولة بين الأغنياء فقط، كما كان ذلك في شرائع الجاهلية، وفي شرائع من سبقنا من الملل والشرائع.

الإسلامُ وسط فيما أمر به في المعتقدات، وما أخبر الله - جل وعلا -، أو أخبر به رسولُه ﷺ.

ففي التوحيد وسطٌ بين الغالي فيه ممن يشرك بالله - جل وعلا - كالنصارى، واليهود، وما بين الجافي والمبتعد عن ذلك، ممن يظن أن الناس جميعًا على التوحيد مهما عملوا، فالإسلام يدعو إلى توحيد الله - جل وعلا - بما أمر الله به في قوله: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ (١)، وقال: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ (٢)، فتوحيدُ الله - جل وعلا - والإخلاصُ له أساسُ الملة والدين.

* * *

(١) (الزمر: ٢).

(٢) (الإسراء: ٢٣).

وسطية أهل السنة بين الفِرَقِ والطوائف

أهلُ السنة والجماعة وسطٌ في باب الصفات بين الممثِّلَة المشبِّهة وبين النفاة المعطلة.

وفي أبواب الإيمان أهل السنة والجماعة والإسلام الحق وسطٌ ما بين التكفيريين الغلاة وبين المرجئة الجفاة.

وفي إثبات الإيمان من أنه قولٌ وعملٌ واعتقاد، ووسطٌ بين هؤلاء وهؤلاء.

كذلك الإسلام وسط في حبِّ الصحابة بين الغلاة فيهم ممن ألَّهوهم، وبين النواصب الذين ذمُّوا بعض الصحابة.

فأهل السنة والجماعة يثنون على جميع صحابةِ رسول الله ﷺ ويقولون فيهم ما قال الله -جل وعلا-: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [١] .

(١) (الفتح : ١٨).

وفي أبـواب الإمامـة والولايـة: أهـل السـنة والجماعـة بل دين الإسلام وسطٌ بين مَنِ اختلفوا في هـذه المسـألة العظـيمة مـن الخـوارج في القـول والعمـل الذيـن يَـرَوْنَ الخـروج عـلى الولاة فيما يَـرَوْنَ مـنهم مـن أخطـاء أو مـنكرات، والطـرف الآخـر الـذي لا يرى نصيحة الإمام أصلاً، ويرى أن مـا قالـه ولـيُّ الأمـر صـوابٌ مطلـقًـا؛ لأنهـم نوابُ الله - جل وعلا - في أرضه.

* * *

من الوسطية طاعة ولي الأمر

يرى أهل السنة والجماعة وجوبَ الطاعة لولي الأمر؛ لأمر النبي ﷺ في وجوب ذلك إذ قال: « **عليك السمعَ والطاعةَ في عُسْرِك ويُسْرِكَ ومَنْشَطِكَ ومَكْرَهِكَ وأثَرَةٍ عليكَ**»[1].

وعن «عبادة بن الصامت» - رضي الله عنه - قال: بايَعْنَا رسولَ الله ﷺ على السمع والطاعة، في العُسْرِ واليُسْرِ والمَنْشَطِ والمَكْرَهِ، وعلى أثَرَةٍ علينا، وعلى أن لا ننازعَ الأمْرَ أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كُنَّا، لا نخافُ في الله لومةَ لائمٍ»[2]. كما ثبت ذلك في

---

(١) أخرجه «مسلم» في «صحيحه» في (كتاب الإمارة - باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية) ١٨٣٦ من حديث «أبي هريرة» رضي الله عنه.

(٢) أخرجه «مسلم» ١٧٠٩ من حديث «عبادة بن الصامت» رضي الله عنه. وقريب منه أخرجه «البخاري» في «صحيحه» في (كتاب الفتن - بابُ قول -

صحيح مسلم.

فأمـر الإمامة والولاية عظيم، وشأنه جسيم لكن معه في منهج الوسطية النصح والبيان والتعاون مع ولاة الأمر على البر والتقوى.

* * *

=

الـنبي ﷺ: سـترون بعـدي أمـوراً تُـنكرونها» ٧٠٥٦، و«أحمد» في «مسنده» (٣٧: ٢٢٧٣٥) و«ابن أبي عاصم» في «السنة» ١٠٢٩.

الوسطية والاعتدال في الفقه والأحكام

يتبين ذلك فيما يلي :

أولاً: مراعاة الاجتهاد، فالاجتهاد ماضٍ لم يغلق [(١)] .

وباب الاجتهاد منهم مَنْ فتحه على مصراعيه حتى دَخَلَهُ مَنْ ليس بأهل له، ومَنْ لم يعِ النصوصَ ولا القواعدَ ولا الأصولَ.

ونسمع اليوم مَنْ يجتهد في المسائل الشرعية، والنوازل العظيمة مما لو كانت في عهد عمر - رضي الله عنه - لجمع لها أهل بدر [(٢)]، واليوم تَنْزِلُ المسائلُ

---

(١) قال «الشاطبي» في «الموافقات» (٥ : ١١): «الاجتهاد على ضربين: أحدهما: لا يمكن أن ينقطع حتى ينقطع أصل التكليف، وذلك عند قيام الساعة. والثاني: يمكن أن ينقطع قبل فناء الدنيا...».

(٢) قال «البخاري» في «صحيحه» في (كتاب الاعتصام - ٢٨ باب قوله - تعالى -: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى:٣٨]، و: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران:١٥٩] : كانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وَضَحَ الكتابُ أو =

العظيمةُ بالأمة فيُفتي بها الواحد، ويُفتي بها الاثنان من عامة طلبة العلم، ممن ليسوا مؤهلين لذلك، فلم يكن عندهم رسوخ في العلم، مما يجتنبه الجمهرةُ من العلماء، وهذه مما يحتاج أن يجتمعوا جميعًا لينظروا في هذه النازلة، فالاجتهاد مفتوح بابُه، لكن هذا الفتح وسطٌ بين فئتين بين مَنْ يرى غَلْقَ باب الاجتهاد أصلاً، والبقاءَ على نصوص السابقين من أهل العلم، وبين مَنْ يرى باب الاجتهاد مفتوحًا لكل أحد حتى ولو لم يكن أهلاً لذلك .

ثانيًا : الاعتدال في الفقه والأحكام والوسطية في ذلك تدعونا للوسطية بين جهتين، بين لزوم المذهبية ونزع المذاهب، فهناك من يطلب نزعَ المذاهب الفقهية، وأنَّ المذاهب ليست بحق على إطلاقها، وإنما كانت لفترة مضتْ، والواجبُ الرجوعُ إلى كُتُبِ الحديث والسنة، ونَبْذُ كُتُبِ المذاهب مهما كانتْ، وبين فرقة أخرى ترى البقاءَ

=

السنةُ لم يَتَعَدَّوْه إلى غيره اقتداءً بالنبي ﷺ .. وكان القُرّاءُ أصحابَ مَشورة عمرَ كهولاً كانوا أو شباناً، وكان وقّافاً عند كتاب الله، عز وجل .

على نصوص المذاهبِ، وأنهم أدرى بذلك، وأن نصوصَهم وكلامَ علماء المذاهب يصلح لما بقي من الزمان، والحقُّ وسطٌ بين الفئتين ؛ لأن كلام علماء المذاهب مطلوبٌ فهمُه ؛ لأنهم الذين فَهِمُوا الشريعةَ وصوَّروها، لكن لكلِّ زمنٍ أحكامٌ، ولكل زمنٍ فَهْمٌ، والشريعةُ منوطة بالمقاصد، ومنوطة بتحقيق المصالح ودرء المفاسد، فالبقاءُ على نصوص علماء سابقين ليسوا معنا في هذا الوقت، وليسوا متطرقين إلى ما نعيشه، وما عندنا من علل، ومقاصد، ومصالح يجب مراعاتها، ومفاسد يجب درؤها. هذا ليس من باب الاعتدال، فالاعتدال الأخذ بأقوالهم، وفهم مراداتهم، وأخذ أحكامهم، ومعرفة مآخذهم، ولكن يجب النظرُ في النصوص ؛ لأن النصوصَ واسعةٌ تَسَعُ الأزمنة، والأخذُ بكلام العلماء مطلوبٌ في فهم تلك النصوص، فالإسلامُ وسطٌ في المذهبية ما بين معطِّلة المذاهبِ، وما بين الغُلاة في المذهبيةِ.

ثالثًا: كذلك الوسطيةُ والاعتدال سمةٌ لهذا الدين، وسمةٌ لأهل السنة والجماعة فيما بين التشديد المفرطِ، والتيسير غيرِ المنضبط .

النبيُّ ﷺ أمَرَ بالتيسير وحضَّ عليه، وكان إذا خيِّر بين أمريْن اختار أيسرَهما ما لم يكن إثمًا [(١)] .

وهذا فيه نفيٌ للتشديد الذي هو إيقاع في الحرج، فالذين يأخذون بالتشديد، ويَدَّعون أن الحق في الشدة، وأن الحق في التغليظ ليس هذا بحق، بل هو نوع من الغلوِّ في الأحكام يجب نبذُه، وإنما الحقُّ في أن نأخذ بالتشديد في مكانه الذي دلَّ عليه النصُّ، أو حيث خُيِّرْنا بين أمرين لم يَرِدْ نصٌّ في أحدهما، فإننا نختار أيسرَهما ما لم يكن إثمًا، وهذا مهم جدًا في البحوث، وفي المقالات، وفي المحاضرات، وفيما نوجِّهُ فيه الشبابَ، نجتهد في أن نبتعد عن التشديد الذي يضرُّ، وعن الأخذ بالغلظة، وعن

---

(١) تقدم تخريجه ص(٢١) .

الأخـذ بالشـدة الـذي يجعـل في النفوس حَرَجًا حتى من الـتعايش مـع الـناس، والواجـبُ أن يكـون هـناك أخـذٌ بالوسـط والاعـتدال في ذلـك كلـه ؛ لأن الشريعة جاءت بـنفي الحـرج، و«أن المُنبَـتَّ لا أرضًـا قَطَـعَ ولا ظهـرًا أبقَى»[1] .

كذلك الشريعةُ في أحكامها وفقهها ومقاصدها وسطٌ في المصـالح والمفاسـد، غلا أناسٌ في المصالح حتى قدَّموا المصلحةَ المتوهّمة على النصِّ، وحتى قال بعضُهم : حيثما وُجـدت المصلحةُ فثَمَّ شرع الله، وغلا آخرون حيث رأوا إلغـاء المصـالح مطلقًـا، والـنظر في النصـوص، وأن النصوص فقط هي المصلحة، فيأخذون بظاهرها.

والشـريعةُ شـريعةٌ معلَّلـة، شـريعةٌ مبنـيةٌ على جلب المصـالح وعـلى دَرْءِ المفاسـد، ومَـنْ فَاتَـه العـلمُ بقواعد الشـريعة ومقاصـدها فإنـه يفوتـه تحقـيق هـذه الشـريعة

---

(١) تقدم تخريجه ص (٢١).

المباركة، فهذه الشريعة المباركة شريعةُ الإسلام شريعةٌ مبنية على عِلَلٍ، وعلى مقاصدَ، وعلى رعاية المصالح [١]، مبنيةٌ في الفقه على معرفة الفَرْقِ والجمع بين الأحكام المنصوص عليها، أو التي اجتهد فيها العلماء.

فمَنْ فاته معرفةُ ذلك فإنه لا مجال له في الاجتهاد في الحكم في رؤية أحوال الناس.

بهذا يجب علينا أن نَرْعَى الوسط ما بين الذين ينفون المصالح مطلقًا، وما بين الذين يَغْلُون فيها، فشريعتُنا معلَّلة نأخذ بالمصالح ومقاصد الشريعة ؛ ولهذا نرى كلام أهل العلم الراسخين فيه مثل الإمام أبي حنيفة والإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد، وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في مسائل كثيرة يَرَوْنَ فيها المصالحَ المنوطة بالنصِّ، حتى تكلموا في مسائلَ ربما خالفتْ ما عليه الفتوى اليوم ؛ لرعايتهم للمصالح

---

(١) انظر «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٤: ٣٣٧).

المتوخاة من الشريعة.

فرعايةُ المقاصد والمصالح مطلبٌ شرعيٌّ ضروريٌّ لتأصيل منهج الوسطية، والاعتدال في الأمور.

❑ الوسطية والاعتدال في الحكم على الأشياء:

الأشياءُ تتجدد، والقضايا تتنوَّع، وكلُّ يوم لنا فيه جديدٌ، ولاشك أن الزمن له حركة، والمدنيَّة ولاّدة، والحضارةُ متوقدة، ولن تقف عند حكم فقيه أو داعية، أو عند تنظير مُنَظِّر، المدنيةُ تتولَّد وتنمو، كما هو مشاهد ومنظور في الزمن الحاضر.

ولابدَّ حينئذ من أن يكون هناك منهجٌ واضحٌ معتدلٌ في الحكم على الأشياء، والأوضاع، والأشخاص، والأفكار وما يطرح، والنوايا والمقاصد، والمجتمعات، والدول، والعلماء، والدعاة، والناس، وهذا المنهج الوسط يجب أن يؤصَّل في أطروحات ورسائل حتى لا يكون الناس الذين يَرومون من طلبة العلم الإصلاحَ، والدعوةَ

والإرشادَ في غَيْبَةٍ عن المنهج المعتدل في ذلك .

ومـن قواعد أهل العلم : **الحكم على الشيء فرع عن تصوُّره** [١]، والله – جل وعـلا – قال لنا: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [٢]، فمَـنْ أراد أن يحكم على شيء دون علـم كـامل بهـذا الشـيء، أو يحكم على وَضْعٍ، أو يحكم على شخص، أو يحكم على أفكار وأطروحات، أو يحكـم على نوايا ومقاصد دون معرفةٍ شرعية بذلك ؛ فإنه حينئذ يَقْفُو ما ليس لـه به علم.

والواجب علينا أن نضع هذه الآية نَصْبَ أعيننا، وأن نضع قولَ الله – جل وعلا – في النهي عن القول بلا علم حيـث جعلـه قرينًا للشرك بقوله – جل وعلا – : ﴿ وَأَن تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا

(١) انظـر هـذه القـاعدة في «مغـني المحـتاج» (٢: ٣٦٣)، و«حاشـية الـبجيرمي (١: ٩٧، ٣٧٤) و(٣: ٢٣٢) و(٤: ٥٧).

(٢) (الإسراء : ٣٦) .

لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [١]، والنبيُّ ﷺ نهى عن القول بلا علم، وقال ﷺ: «أجرؤكم على الفُتْيا أجرؤكم على النار» [٢] .

فكيف نحكم على الأوضاع ؟ الناسُ كما ترون يحكمون على كلِّ شيء، فهل يليقُ بأهل الفكرِ والعلمِ، وأهل المنهج الفكريّ والمنهجِ المستقيمِ في النظر والتأملِ أن يكونوا مستعجلين؟ وأن يكونوا غيرَ متأنين في الحكم على الأشياء ؟

أنتم سواء من الطلاب من ذوي المستويات العالية، أو من غيرهم، فلا يسوغ أن يكون تفكيرُكم وحكمُكم على الأشياء بلا منهج، فإذا تُرِكَ الناسُ في الحكم على الأشياء بلا منهج ستنتج أشياءُ وأشياءُ وأشياءُ من مثل ما رأينا، وسينتج هناك أفكارٌ وآراءٌ وأحكامٌ على

---

(١) (الأعراف : ٣٣) .

(٢) أخرجه «الدارمي» في «سننه» في (باب الفتيا وما فيه من الشدة) (١: ٥٧) وأورده «أبو عبدالله محمد بن مفلح المقدسي» في «الآداب الشرعية» في «فصل في قول العالم: لا أدري، واتقاء التهجم على الفتوى» (٢: ١٥٦).

الأوضاع والأشخاص والمجتمعات والدول، وحتى الحكم على النوايا والحكم على أهل العلم بما تُرَوْنَ، وبما لا تُرَوْنَ في المستقبل .

إننا نطالبُ بمنهج نفكر فيه ونفكر به يكون قاعدةً للتفكير كيف نفكّر؟ كيف نبني النتائجَ على مقدماتها؟ هل يسوغ أن يكون هناك حكمٌ على النتائج والأمور، وحصول نتائج في الحكم أو في العمل من دون مقدمات للتفكير سليمة ؟ كيف نصحح الأفكار ومنهج الحكم على الأشياء؟ هذا من أهم المهمات.

من القواعد أنه ليس لكل أحد أن يقتحم الحكم في كل مطلب، هناك أشياءُ عظيمة يجب أن تُترك للناس الكبار الذين ينظرون للأمور بمنظار شامل، أنت لا تعرف كلَّ شيء من الأمور، هل يسوغ لطالب علم أو متزنٍ أو مثقف أو أي أحدٍ من عامة الناس أن ينصِّب نفسه حَكَمًا على أوضاعٍ، أو دولةٍ أو علماءَ أو أفكارٍ دونَ حصرٍ، ودونَ نظرٍ، ودونَ تطبيق للقواعد الشرعية ؟

من الناس مَنْ يَرَوْنَ أن يكون ديدنُه في الحكم الأخذَ بـبعض الأشـياء، فـيرى نصًـا واحدًا لديه كافيًا في الحكم الكلـيّ عـلى ذلـك، ولو كان الأمر كذلك لما كان الفقهاء قليلين.

* * *

طريقة تمييز فقهاء الإسلام

فقهـاءُ الإسلامِ هم الذين نظروا في النصوص جميعًا، ونظروا في عِلَلِها، ونظروا في المقاصد، ونظروا في المصالح وفي المفاسـد. فـالحكمُ الشرعيُّ لا يُناط بشيء واحدٍ ينظر فـيه المـرء، فلابـدَّ من الاعتدال في الحكم على الأشياء ما بين طرفٍ يغلو فيحكم بمجرد خاطرٍ وَقَعَ له، وما بين آخرَ يترُكُ الأمرَ وكأنه لا يعنيه .

نحـتاج إلى وسـط في المنهج، لا الغلاة الذين يحكمون دائمًـا بالأسـوأ مـن الأحكـام عـلى الأشـياء، وعـلى الأشـخاص، ويحكمون بالظن ويسيئون النظر، ويحكمون عـلى كلمةٍ قالها شخصٌ، أو أمرٍ تَبَنَّتْهُ جهةٌ، والواجب أن يكـون المـرءُ متوسـطًا موازنًـا بين الإيجابيات والسلبيات، موازنًـا بـين المصـالح والمفاسـد، موازنًـا في الحكـم عـلى الأشياء بين الغالي فيها والجافي عنها .

فـالذي يـروم الحكـمَ من دون توسُّط فإنه يذهبُ إلى

الخروج عن اعتدال الشريعة، وعن الاعتدال في الأمور .

الأصلُ في المسلم السلامةُ، ولو وُجد عنده ما لا ينبغي من الأعمال والأقوال فليس الأصل فيه الشك، ولا أن يقول سوءًا أو يذهبَ إلى سوءٍ.

الأصلُ في الأفكار التي يطرحها المسلمُ أن يكون ديدنُه فيها حبَّ الخير، لا حبَّ الشر، أو حبَّ المخالفة، أو الوقيعة أو الإفساد، ولكن ديدنُه في ذلك الخيرُ من حيث الأفكارُ، إلا إن ثَبتَ خلافُ ذلك، من قولٍ صريحٍ، أو عملٍ صريحٍ، فإنه حينئذ يكون خلاف ذلك.

النوايا والمقاصدُ يجب اعتبار الظاهر فيها، وأن لا نحكم على نوايا ومقاصد الناس باعتبار ظاهرٍ سلوكيٍّ، أو ظاهرٍ قوليٍّ ؛ لأن النوايا والمقاصدَ علمُها عند الله -جل وعلا-، ويجب علينا الحذرُ من أن نظن سوءًا بالناس، والله – جل وعلا – قال: ﴿ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ

بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (١) .

وقال – عليه الصلاة والسلام – فيما جاء في الحديث لـمَّـا جاءت الشهادة قال: **«هل ترى الشمس» قال: نعم. قال: «على مثلها فاشْهَدْ أو فَدَعْ »** (٢) .

الوسطيةُ في التفكير مطلوبةٌ، تفكيرُ الشباب اليوم، بل تفكـيرُ الـناس، بل حتى تفكيرُ بعض الخاصة نراه متفرقًا، متشعبًا بين عقل جامد، أو عاطفة جامحة.

العقـل والإدراك، والعقل والاتزان مطلوبٌ لكن مع عـدم إلغاء العاطفة، والعاطفةُ الجَيَّاشَةُ مطلوبة، والحماس للديـن مطلـوبٌ، لكـن مـع عـدم غـياب العقل السليم، ورعايـة الـنصِّ، فمَـنْ جَعَـل عاطفـته حكمًا عليه في كلِّ

(١) (الحجرات : ١٢).

(٢) أخـرجه الحـاكم والبـيهقي، مـن حديـث « ابن عباس » – رضي الله عنهما – مرفوعًا .

انظر «نصب الراية» (٤: ٨٢)، و«الدراية في تخريج أحاديث الهداية» (٢ : ١٧٢)، و«كشف الخفاء» ١٧٨١.

تصـرفاته من دون علمٍ، أو من دون رجوعٍ إلى أهل العلم الراسخين فيه، أو رجوعٍ إلى توجيهاتٍ من وليٍّ الأمر، أو مـن دون أن تكـون مبنـيةً على قواعد شرعية، فإنه حينئذٍ يـروم عاطفـةً كمـا رامهـا الخـوارجُ، أو المعـتزلةُ، أو أهل الأهواء.

فأهلُ الأهواء ما أوقعهم في أهوائهم إلا العاطفةُ التي لا تنضبطُ بنصٍّ، أو بمنهج.

خـالفَ الخـوارجُ الصـحابةَ فقـتلوا خـيرَ الـناس في زمنهم، وهو عليٌّ، رضي الله عنه .

مَـنْ قَـتَلَ علـيًا - رضـي الله عـنه - هل قتله أعداءُ الإسلام؟

لا .. إنمـا قَتَلَه رجلٌ يقومُ الليلَ، ويصومُ النهارَ، وهو عـبدُالرحمن بن مُلْجَم الخارجيُّ [1]، الذي أرسله عمرُ بن

(١) المقـتـول سـنة (٤٠)هـ. انظـر «الـنجوم الزاهـرة» (١ : ١٥٥)، و«الأعلام» (٣: ٣٣٩).

الخطـاب – رضي الله عنه – إلى مصرَ لما طلب عمرو بن العـاص – رضـي الله عـنه – قارئـا يقرئ الناسَ القرآنَ، قـال: أهـل مصر يحتاجون إلى قارئ يقرئ الناسَ القرآنَ، فقال عمرُ في رسالةٍ أرسلها إلى عمرو بن العاص – رضي الله عنه – : أرسلتُ لك رجلاً صـالحًا، هو عبدالرحمن بن مُلْجَم آثرتُك به على نفسي، إذا أتاك فأكرمْه، واجعل لـه دارًا يقرئ الناس فيها القرآن.

جلـس عـبدالرحمن بـن ملجم في مصر حتى ظهرتْ حـركةُ الخـوارج، وأولُ ما ظهرتْ في اليمن، ثم في مصر، وأخـذت الانتشـار في مِصـرَ فأثـّروا فـيه، لأنه كان كثيرَ الصـلاح، كـثيرَ العاطفـة، لكـنه كـان قليل العلم والفقه، وكان منعزلاً، فلذلك أتاه الأمرُ من حيث أتاه، وقَتَلَ خيرَ الـناسِ علـيَّ بـنَ أبـي طالب – رضي الله عنه – ولما قِيد للقصـاص قـال لهـم : لا تقـتلونـي مـرة واحـدةً، لكـن اقـتلوني شـيئًا فشـيئًا، قَطِّعـوا أطرافي أمامي؛ لأنظر كيف تقطَّعُ أطرافي في سبيل الله، جل وعلا.

ولقد بقيتْ دعوة الخوارج سريةً متسلسلة في الناس حتى مدح قاتلَ عليٍّ – رضي الله عنه – : «عمرانُ بن حطان» في أبيات قال فيها – والعياذ بالله – :

يا ضربةً من تَقِيٍّ ما أراد بها
إلا ليبلُغَ من ذي العرشِ رِضْوانًا
إنِّي لأذكُرُهُ حينًا فأحْسِبُه
أوفَى البرية عندَ الله ميزانًا [(١)]

وهذا – والعياذ بالله – هو التدينُ الغالي الذي يجعل الإنسانَ يرى ما ليس بالحَسَنِ حسناً.

فالعاطفةُ الجياشة، والحماسُ للدين، والجهادُ المظنون الذي يؤول إلى مثل هذه الأفكار، وهذا الغلوّ مرفوضٌ من أصحابه، والوسطُ والاعتدال يرفضه، بل يحارب أصحابَه ؛ لأنهم إن بقوا فإنهم سيُضِلُّونَ الناس، فقد

(١) البيتان لـ «عمران بن حطّان»، الخارجي، بمدح «عبدالرحمن من ملْجَم»، وهما في «مقاتل الطالبين» (٣٨)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (١: ٢٨٨)، و«البداية والنهاية» (١١: ١٩) و(١٢: ٣٥٢).

حاربهم عليُّ بن أبي طالب – رضي الله عنه – وحاربهم ابنُ عباس – رضي الله عنهما –، وحاربهم معاوية – رضي الله عنه – ، وحاربتهم الدولةُ الأموية، وحاربتْهم الدولةُ العباسيةُ إلى وقتنا الحاضر، فكلُّ أهل الحق يحاربون من يغلو في الدين لأن النبي ﷺ حذّر من ذلك.

* * *

❑ الوسطية في منهج التفكير:

الوسطيةُ مطلوبة في التفكير، وفي الحكم على الأشياء، وفي منهج التفكير بين النظر في البدايات والمآلات، كثيرٌ من الناس ينظر إلى الأمور باعتبار الحاضر، وباعتبار الواقع، لكن لا ينظر إلى المآلات، والعقلاء الذين يتبعون الشرعَ، ويدركون أحكامه ونصوصه ومقاصده فإنهم ينظرون إلى البدايات كما ينظرون إلى المآلات، وقد قال بعض أهل العلم: **مَنْ لم تكنْ له بدايةٌ محرقةٌ لم تكنْ له نهايةٌ مشرقةٌ**.

مَنْ كان ينظر إلى البداية نظرًا سليمًا فينظر في أسباب حدوث الأشياء، وفي بواعثها؛ لينظر كيف يحكم عليها، فإنه سيكون في نظره إلى المآلات سليمًا، أما إن كان لا ينظر إلى البدايات، ولا ينظر إلى الأسباب والبواعث، ولا ينظر إلى بعث الشيء، أو كيف حَصَلَ، وإنما ينظر إلى المقصد منه، فهذا غلط بلا شك في التفكير ؛ لأنَّ التفكير

الصحيح أن تنظر إلى البداية، وتنظر إلى المآل، فمَنْ فاتَهُ النظرُ في المآلات فإنه يفوته النظرُ السليمُ.

وكثير من ذوي العاطفة الجياشة، وذوي النظر القاصر ينظرون إلى الأمور نظرًا سطحيًا من دون اعتبارٍ للمآل والنهاية .

كذلك نطلب نظر الوسطية في التفريق ما بين الواقع والتنظير، فكثير من الناس ينظر نظريات وخيالات وخلفيات هي في نفس الأمر قد تكون سليمةً لكنها من حيث التطبيقُ مستحيلةٌ، أو شِبْهُ مستحيلةٍ، فهل يسوغ أن يكون المتفقه، وحملة الشرع، والناس المحبُّون للخير أسيرين للخيالات غير القابلة للتطبيق، وأن يكونوا أسيرين لتنظيراتٍ لا توافق الواقع ؟ .

والذي يريد الإصلاحَ الصحيحَ يجب أن يعملَ من خلال الممكن والواقع، لا أن يجانبَ الواقعَ فيعمل تنظيرات يكره بسببها الواقع، أو يجانبُ الواقعَ .

من أجل ذلك يقال: كيف نعمل؟، والنبيُّ ﷺ أتى إلى قـومٍ أهـلِ جاهلـية، فهـل أبطـل جمـيع مـا كـان علـيه الجاهليةُ؟

ليس الأمرُ كذلك، بل أخذَ بأحكام الجاهلية في أشياءَ كـثيرةٍ، وجعـل مـن أعمـال أهـل الجاهلـية في كـثير مـن الأمـور مـيدانًا لانطلاقه هذا، وهم أهلُ جاهلية، فكيف الأمـر إذا كانـت المسـألة في بلـد الإسـلام، أو بـين أهـل الإسـلام، أو بـين أهـل العلم في أمور مختلفٍ فيها ما بين اجتهاد وآخر ؟

إنكـم مطالـبون يـا حملةَ الشريعة، ويا دعاةَ الإسلام، ويـا خطـباءَ المسـاجد، وأئمـتها، ويـا علماء الإسلام، ويا فقهـاء الإسلام أن تكونوا واقِعيين في الطرح، فليس الأمر مقـبولاً إذا كانـت أطروحاتُـنا خياليةً، أو بعيدة عن قبول التطبيق، لا يمكنك أن تطبق على الناس ما لم يكن مقبولاً لـدى الـناس، وما لم يكن مقبولاً في مصالحهم، ويجب أن نـرعى أحـوال الـناس ومـا يخـتلفون فـيه، فالخـيالاتُ

والتنظيراتُ ليست بمقبولة.

كذلك إذا كنا نريد من الناس في ميدان الدعوة أن يكونوا خياليين، يأتون إلى الناس بكلماتهم، وتنظيراتهم، وتحميس الناس إلى ما ليس بميدان في التحميس.

ويكونون خياليين كمن يدعون إلى الجهاد، ولا يوجد ميدانٌ صحيح للجهاد، ومن يدعو إلى الإنكار باليد ولا ميدان للإنكار باليد إلا من جهة الاختصاص، فيحمل ذلك الناس على الحماس، وحينئذ يُفْرِغون حماسهم في طُرُقٍ غير شرعية قد يكون من نتائجها ما حصل من تفجير في الرياض، وما قد يحصل مستقبلاً.

فيجب عليك أن ترعى كلمتَك في أن لا تكونَ خياليًا فيما تطرح، وأن لا تتكلم بكلام ينزله الناس على واقع ليس في ذهنك. بعضُ المعلمين أو بعضُ الدعاةِ والخطباء يقول كلامًا هو في نفسه صحيحٌ، ويكون عند الخطيب أو عند الداعية، أو عند المُعلِّم، أو عند أستاذ الجامعة يكون عنده ضوابط تحجزه عن أن يزيد في تطبيق ما ذكر عن

الحد المأذون به شرعًا، ولكن هو لا يأمن مَنْ يخاطِبُ، ومَنْ يُحَدِّثُ أن لا يزيد في تطبيق ما ذُكر من الحدِّ المأذون به شرعًا، والحقُّ قولُ الله - تعالى - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

نهى اللهُ – جل وعلا – أهلَ الإيمان عن أن يقولوا : (راعنا) فلماذا؟ الجواب: أن كلمة (راعنا) تحتمل أن تفهم كما يقولـه اليهود (راعنًا) من الرعونة والغِلظة والشدة يريد بها النبيَّ ﷺ وأصحابَه (٢) .

---

(١) (البقرة : ١٠٤).

(٢) جاء في تفسير «ابن كثير» (١: ٣٧٤) عند تفسير قوله تعالى: (لا تقولوا راعنا) قال «ابن عباس»: كانوا يقولون للنبي ﷺ : أرعنا سمْعَكَ.
وقال «مجاهد»: لا تقولوا خلافاً.
وفي رواية: لا تقولوا: اسمع منا ونسمع منك.
وقال «عطاء»: كانت لُغةً يقولها الأنصار، فنهى الله عنها.
وقال «الحسن»: الراعن من القول السخري منه. نهاهم أن يسخروا من قول محمد ﷺ، وما يدعوهم إليه من الإسلام.

....

* * *

=

وقال «أبو صخر»: كان رسول الله ﷺ إذا أدبر ناداه من كانت له حاجة من المؤمنين، فيقول: أرعنا سمعك. فأعظمَ اللهُ رسولَه ﷺ أن يقال ذلك له.

وقال «السدي»: كان رجل من اليهود من بني قَيْنُقاع، يدعى رفاعة بن زيد، يأتي النبيَّ ﷺ فإذا لقيه فكلّمه قال: أرعني سمعك واسمع غير مُسْمَع.

وكان المسلمون يحسبون أن الأنبياء كانت تُفَخَّم بهذا، فكان ناس منهم يقولون: اسمع غير مسمع: غيْرَ صاغر. وهي التي في سورة النساء. فتقدم الله إلى المؤمنين أن لا يقولوا: راعنا.

وانظر: «تفسير الطبري» (١: ٣٨١-٣٨٢) ففيه تخطئة مَنْ قال «راعناً» بالتنوين على أنها قراءةٌ منسوبةٌ للحسن البصري، لشذوذها، وخروجها من قراءة المتقدمين والمتأخرين.

العنف وعدم الفهم الحسن

كذلك الذين يتحدَّثون للناس عبر الخطبة أو المسجد أو المدارس، أو الجامعات، ويقولون كلمةً ليست صحيحة في نفسها، أو يمكن أن تفهم على غير وجهها، أو توقع المستمعَ في اللَّبس، ثم هم لا يوضِّحون، فإنهم حينئذ يكونون شركاءَ في البعد عن الاعتدال، وشركاءَ في عدم الفهم الحسن .

كذلك يجب علينا أن ننظر إلى قول النبي ﷺ : « **إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرفقَ في الأمر كلِّه، ويُعْطِي على الرفق ما لا يُعطي على العنفِ** »[1] أي: تكون رفيقًا في الكلمة، وفي التفكير، وفي الإرشاد، وفي الطرح، فالرفقُ مطلوبٌ، اللهُ - جل وعلا - رفيقٌ يحب الرفقَ في الأمر كلِّه، فهل

---

(١) أخرجه «مسلم» في «صحيحه» في (كتاب البر و الصلة والأدب - باب فضل الرفق) (٢٥٩٣) من حديث عائشة - رضي الله عنها -، و«أحمد» في «مسنده» (٢: ٩٠٢) من حديث علي بن أبي طالب، رضي الله عنه .

نريـد غير ما يحبُّ الله – جل وعلا - ؟، هل نريد غير ما يَرْضَى اللهُ – جل وعلا – عنه ؟

فـإذا كنـتَ غـيرَ رفـيق في أمـرك، وفي تفكـيرك، وفي مقاصـدك، وفي أطروحاتك، وفيما تقول، وفيما تذر، وفي أعمـالك، وفي الحكـم عـلى الأشـياء، والحكـم عـلى التصـورات، والحكـم على الأشخاص، فحينئذ تكون قد فَوَّتَّ أعظمَ شيء، وهو محبةُ الله – جل وعلا – لك .

الوسـطيةُ في الدعـوة مطـلوبـةٌ. الدعوةُ تحتاج منا إلى تنظـيم وإلى ترتيـب، وإلى تعاونٍ على البر والتقوى، لكن هذه الدعوة حيث إنه لا يصلح فيها الفوضوية، بل يجب أن يـتعاون فـيها أهـلُ الحق، وأهلُ الخير، فإنه لا يجوز أن نكون فيها مغالين، فنذهب في الدعوة إلى تنظيمات بدعية، أو تنظـيمات سِريّة، أو إلى حزبية مقيتة، والموالاة والمعاداة على رموز دعوة متوهمة فوضوية .

نـريد دعوةً تحتاج إلى تعاون على البر والتقوى، وَفْقَ مـنهج أهـل السنة والجماعة، ووفق التطاوع، فالطاعةُ لا

تجوز في بلد الإسلام إلا لوليِّ الأمر .

الطاعـةُ المـتوهمةُ لجماعـةٍ، أو لدعـوة، أو لحزبٍ، أو نحو ذلك ليست شرعيةً.

النبيُّ ﷺ حين أرسل معاذًا، وأبا موسى - رضي الله عـنهما - إلى الـيـمن، مـع أن أحـدهمـا كان أميرًا للسفر فحيـنما أتـى أمـرُ الدعـوة قـال لهما : «**يَسِّرَا ولا تُعَسِّرا، وبَشِّـرا ولا تُـنَفِّرا وتطاوعـا** »[1] فلـيس ثـمَّ مجـال لطاعةٍ مطلقـة وَفْـقَ تنظـيم سـريّ، أو وَفْـقَ حزبـية مغلقة، بل التنظيم يكون وَفْقَ تنظيم وليِّ الأمر، والطاعةُ تكون وَفْقَ طاعـةِ الله - جـل وعـلا -، وطاعةِ رسوله ﷺ، ثم طاعة وليِّ الأمر فيما ليس فيه معصية.

فنحـتاج إلى تعـاونٍ في الدعـوة عـلى البِّر والتـقوى، وإلى تكـاتف، وإلى أن نكـون في الإطارِ الذي أذِنَ به وليُّ الأمرِ، والإطارِ الذي لا ينتجُ مفاسدَ .

---

(١) تقدم تخريجه ص (٢٣).

أما الإطارات الأخرى التي يتكلم فيها الناسُ، أو قد تكـون موجـودةً في بعـض البلدان، ونخشـى أن تكـون موجـودةً عـندنا، أو تنـتقل إليـنا مـن تنظيماتٍ سرية، أو حزبـيات مبـتدعة، فـإن هـذا مخـالفٌ للمـنهج الوسِطيِّ، ولطـريقةِ أهـل السنة والجماعة، فما كَوَّنَ إمامٌ من الأئمة مـع ما حصل في زمنهم جماعةً خلافَ ما أقرَّه وليُّ الأمر، ولم يُكَوِّنـوا تنظـيمًا، وإنمـا كانوا وَفْقَ المنهج الوسط الذي يـرعَى الممكِـنَ، ويـرعَى الدعـوةَ وَفْـقَ التعاونَ على البرِّ والتقوى .

نحـتاج أيضًـا إلى وسـطية في الدعـوة في مسـألة حـلِّ مشكلات الأمة، فبعضُ الدعاة وطلبةِ العلم وأهل الغَيْرَة يظـنون أن مشـكلات الأمـة سَـتُحَلُّ بالغَـيْرة، ولو كانت كذلـك لم يكـن ثـمَّ أغيرُ من نوح - عليه السـلام - على توحـيد الله، وعـلى إخـلاص الدين لله - جل وعلا -، فهـل كانت غَيْرَةُ نوح - عليه السلام - كافيةً في أن يزول الشرك، أو أن تزول الوثنيةُ التي كانت في زمنه ؟

ومعلـوم أنَّ غَـيْرَةَ نوح – عليه السلام – لم يكن ثَـمَّ أعلى منها في زمانه.

الجـواب: لم يكـن الأمـر كذلـك، بل مكـث في قومه ألـف سـنة إلا خمسـين عامًـا، قـال – تعـالى – : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [1] فهـذا الصبر الطويـل صـبر تسـعِ مئةٍ وخمسـينَ سـنةً مع وجود الغَيْرة العظيمة، والعاطفة الجياشة منهجٌ يجب أن نكون عليه، مَنْ يـنظرُ الـيوم إلى مشـكلات الأمـة، وما هي فيه في كثير من الأصقاع من جهلٍ بدين الله، وبُعْدٍ عن توحيد الله – جل وعـلا – الخـالص من وجود الشركيات المختلفة، والبدع المخـتلفة، والمـنكرات المخـتلفة، فهـل حلُّهـا يكون بغَيْرَةٍ مـتوهمةٍ؟ وهل حلُّها يكون بالإنكار باليد أو السعي فيما لا يُرضـي الله – جل وعلا – من وجود مثل هذه الجرائم

(١) (العنكبوت : ١٤).

والتفجيرات التي حصلت ؟ كيف تُحَلُّ مشكلاتُ الأمةِ بجهد أبناء الأمة ؟

لابدَّ أن نكون في ذلك وسطًا بين الذين كأنَّ الأمرَ لا يعنيهم، ولا يسعَوْن في حلِّ مشكلات الأمة، وبين الذين يُغالون فيذهبون إلى طريق الخوارج، أو طُرُقٍ بِدعية ظالمةٍ بما فيها من سلوكيات، وسُبُل منحرفة .

الأمرُ وسطٌ في أن نعملَ جهدنا وَفق المنهج الشرعي، في أن نعملَ متكاتفين، متعاونين، وأن نحصر مشكلاتِ الأمة، وأن نسعَى فيها، وأن نبذُلَ بالدعوة والخير والإصلاح والمناصحة وَفْقَ المتاح، ووفق الشرع المطهَّر، ووَفْقَ المأذونِ به، فمَنْ حَلَّ مشكلات الأمة بخيالات وتنظيرات فإنه سيكون أسيرَ هذه الخيالات، والمشكلات دون حلٍّ لها .

كذلك نكون وسطًا في النوازل التي تقع في الأمة بين تأزيم النوازل وبين الإسهام في حَلِّها، فالأمةُ مستهدفةٌ، وبلادُ المسلمين مستهدفةٌ بعامة، وبلدُكم هذا بخاصة،

فكيف يجب أن تكونوا تُجاهَ ذلك ؟

يجب بادئَ بَدْءٍ على مستوى هذا البلد المبارك الذي هو معقلُ الإسلام، ومأرِزُ الإيمان، والمكانُ الذي انطلقتْ منه الرسالةُ الخالدةُ، وانطلقت منه دعوةُ التصحيح والتجديد، والذي تنطلق منه اليوم بشائرُ الخير بما ترعاه الدولةُ، وترعاه مؤسسات هذا البلد من وزارات، وهيئات، وجامعات، ومؤسسات خيريّة، وما يرعاه العلماء والدعاةُ، والناصحون. يجب أن يتكاتف الجميعُ في ردِّ الأزمات، وعلاجِها، لا أن نكون مؤثِّرين في الناس في أن نزيد من الأزمة .

جاءت أزماتٌ وكثيرٌ من الناس زاد من الأزمةِ بفعله أو بهيجانه، أو بتحميسه، أو بكونه كأنَّ الأزمة لا تعنيه .

الأمور التي يجب أن نحافظ عليها:

الواجب علينا أن نكون مؤثِّرينَ بالمنهج الوسطي، وأن نعمل في التأثير وَفْقَ المتاح، وأن لا نكون متفاعلين مع الأمور بطريقٍ غَلَطٍ، كأنْ نكون محمِّسين بطريقة خاطئة، وكأنْ نكون مغالين في الأمور.

فالمطلوب منا أن نحافظ على ما يلي:

أولاً: على توحيد الله، جل وعلا.

ثانيًا : أن نكون محافظين على طاعة الرسول ﷺ .

ثالثًا : أن نكون محافظين على وحدة الكلمة، واجتماع الصفّ.

الأمور التي خالف فيها النبيُّ ﷺ أهلَ الجاهلية:

مسائلُ الجاهلية التي خالف فيها رسولُ الله ﷺ أهلَ الجاهلية، وألَّف فيها الإمامُ المصلح المجدِّد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب - رحمه الله - كتابه: (مسائل الجاهلية) قدَّم لها بثلاث مسائلَ، هي أعظمُ المسائل التي خالف فيها

الرسولُ ﷺ أهلَ الجاهلية .

الأولى: التوحيد، فكان أهلُ الجاهلية أهلَ شركٍ، فدعاهم إلى التوحيد .

الثانية: طاعةُ الرسول ﷺ، فأهلُ الجاهلية ما يقيمون طاعةً لمقدَّمٍ فيهم، فخالَفَهُمْ اللهُ - جل وعلا - بالأمر بطاعة الرسول ﷺ .

الثالثة: طاعةُ وليِّ الأمر، حيث كان أهل الجاهلية يَرَوْنَ الفوضى إذ لم يكن في مكة أميرٌ عليها، ولم يكن هناك في البلد أميرٌ عليها، فدعا النبيُّ ﷺ إلى طاعة وليِّ الأمر .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - بعد سرد هذه المسائل: فأتى النبيُّ ﷺ بهذه المسائل الثلاث وأبدى فيها وأعاد.

وهذا هو الذي يجب علينا أن نبدي فيه ونعيد، فالذين يؤزِّمون النوازلَ بإعطاء الشكوك والأوهام،

وطـرح الشـك، وسوءِ الظن، ويذهبون بعيدًا عن الدعوة إلى وحـدة الكـلمة، واجـتماع الصف، فإن هؤلاء يسعون إلى مـا فـيه خـلافُ الصـالح شـرعًا، وإلى الغلـوِّ فـيما يطرحون.

فالواجـب حينـئذٍ في المسـائل والـنوازل أن نسعى في عـدم تـأزيم الـنوازل، وأن نسـعى في حَلِّها، فالنوازل إذا وقعتْ تُحَلُّ بالشرع، وبالعقل والحكمة والأناةِ.

* * *

الاعتدال بالنظر في السياسة

فهذه المسائل تحتاج إلى بحوث، وحبذا أن تكون هناك بحوث في هذه الأمور التي سأذكرها باختصار ؛ لأنها مهمة في توجيه الناس، وتوجيه الشباب بل توجيه الأمة :

الاعتدالُ في السياسة بين المبالغة في النظر إلى السياسة وما بين الترك. كثيرٌ من الناس ينظر أنه بسماعه لقناة فضائية، أو لقراءته لتقرير صَحَفِيٍّ أنه مؤهَّل للنظر في السياسة، السياسةُ صعبةٌ حتى عند الذين عندهم مؤسسات كبيرة تدعمهم بالمعلومات، ولديهم أجهزة وتَحَرٍ، فليست السياسةُ بالأمر السهل التي يحكم فيها أفرادُ الناسِ، بأنَّ هذا الأمر حكمه كذا، وأن هذه قضية يجب أن ننظر فيها كذا .

والواجب حينئذ أن نكون متوسطين في السياسة. والفهمُ في الأمور السياسية مطلوبٌ لكن يجب أن تثقَ في حل الأمور السياسية بوليِّ الأمر ؛ لأنه عنده من الأجهزة

والـنظر والإدراك لمصالح الأمة ما ليس عند الأفرادِ. فمَنْ كـان عنده نظر في تقريرِ صَحَفِيٍّ، أو في رؤيةِ قناة فضائية، وحينـئذ يجعـل نفسه قائمًا بالأمور السياسية، وكأنه الذي عنده الغَيْرَةُ على الأمة، وغيرُه لا توجد عنده هذه الغَيْرَة، فإنـه قـد بـالغ وَتَـرَكَ الاعتدالَ. الاعتدالُ في السياسة بين الفهـم والقـناعة، لـيس كـلُّ الأمور يمكن أن تُفهم، لكن يجـب أن تحـاولَ الفهمَ، لكن قد لا تُدْرِكُ الأمورَ بالقناعة التامة .

الاعـتدالُ في السياسة بين الاتهام المطلق وبين التبرير المطلـق، هـناك مَـنْ يـبالغون في الاتهـام، يـتهمون بـأول خاطـر، وهناك آخرون أيضًا في الطرف الآخر يبالغون في التـبرير لكـل شيء، والعاقلُ المدركُ، العالم، طالب العلم، صـاحب الحـق يكـون وسـطًا بين الاتهام والتبرير، يكون متفهمًا مُدركًا، يعرف الأمورَ ومآخِذَها .

* * *

الوسطية بين الوطن والأمة

الوسطيةُ بين الأهم والمهم: نحتاج إلى بحث في الوطن والأمـة، مـنا مَـنْ قـد يفـرِّط في وطـنه الـذي هو مخاطبٌ أساسًـا لوجـود الولايـة عليه، ولوجود مصالحه ومصالح مَنْ يكونون حولَه فيه، يفرِّط في وطنه رعايةً لمصالح الأمة كلِّهـا، وهـذا لـيس بسـليم، فمصـالحُ الأمـة مطلوبـةٌ أن تُـرْعَى، وأن يُحـافَظ علـيها، لكـن أولاً أن يُحـافَظَ عـلى مصـالح الوطن ؛ لأنك مخاطَب فيه أولاً **«ابدأ بنفسك ثم بمـن تعـولُ»** [1]، ابـدأ بنفسك أوَّلاً وبمن حولك في النفقة وفي المحافظـة، فمَـنْ أضـاع المحافظـة على الوطن من جهة

(١) قـال ابـن حجـر – رحمـه الله – في (التلخيص الحبير ٢: ١٨٤) : حديث « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول» لم أره هكذا، بل في الصحيحين من حديث أبي هريرة – رضـي الله عـنه –: «أفضلُ الصدقة ما كان عن ظهر غنىً، واليد العليا خير من الـيد السـفلى، وابدأ بمن تَـعُولُ» . وانظر «صحيح مسلم» في (كتاب الزكاة – باب بيان أن اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة، وأنَّ السفلى هي الآخذة) (١٠٣٤) من حديث «حكيم بن حزام» رضي الله عنه. وانظر (١٠٣٦).

النظر إلى المحافظة على الأمة فإنه لن يدركَ المحافظةَ على الأمة، ولن يدركَ المحافظة على الوطن، فلابدَّ أن تكون الأمورُ بمقدماتها، تحافظُ على وطنك لأنه الأهمُّ، وأن تجتمعَ كلمتُنا على ذلك، ونسعى في هذا في أن نكون مُؤَثِّرين في الأمة، ساعين في مصالحها.

كذلك الأهم والمهم هناك مَنْ لا يرعَى الاعتدال في ذلك يقدِّمُ كلَّ شيء، وكلُّ شيء عنده مهمٌّ.

لا، العقلاءُ من أهل العلم والدعوة، وأهل التوجيه يَرَوْنَ أن تقديم الأهم مطلوبٌ حتى ولو فوَّت مهمًا، أو مهمات كثيرة، لابدَّ أن تُرْعَى الأولويَّات بأن تبدأ بالأهم، وأن تؤخِّر المهمَّ، لابدَّ من أن نكون أهلَ إدراكٍ؛ لأن شريعتنا أمرتنا بذلك أن نكونَ أهلَ فَهْمٍ، وأهلَ نظر، وأن لا نكون متعجلين متوانين في أمورنا، وأن نكون وسطًا بين طرفي الإفراط والتفريط، وبين طرفي الغلوِّ والجفاء.

* * *

الخاتمة

نسأل الله - جل وعلا - أن يوفقني وإياكم لما فيه رضاه، وأن يجعلنا من النمط الذين وصفهم «عليُّ بن أبي طالب» الخليفة الراشد، ورابعُ المبشرين بالجنة - رضي الله عنه وأرضاه - وصفهم بقوله : « خيرُ الناسِ النمطُ الأوسط الذين يرجع إليهم الغالي والجافي» [1]، وهذا هو المطلوب منكم .

أسألُ الله لنا ولكم التوفيقَ، اللهم اجمعْ كلمةَ المسلمين على الحقّ والرُّشْدِ والسداد.

اللهم وفّق ولاة أمورنا إلى الخير واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى واجْزهم خيرًا عن كل ما يقدّمونه للإسلام والمسلمين .

اللهم نسألك التوفيقَ في أمورنا كلّها، وأن تجعلنا من المتعاونين على البر والتقوى، كما أسأل المولى - جل

---

(١) تقدم تخريجه في ص (٢٠).

وعلا - لي ولكم الرُّشْدَ والسدادَ في القول والعمل، وأنْ يعيذَنا من الزلل في الطريق والقول والمسار. إنه جواد كريم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

* * *

المحتوى

* * *

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ * الرياض